مراقبة التناسل ...

بقلم الدكتور منذر الدقاقه

ليس ما اعرضه في هذا البحث صورة لرأي ، وانما هو توضيح لنوع من الشذوذ الاجتماعي بدأ يكتسب كثيراً من الدراسة والقبول . ولما كان تحديد النسل اتجاهاً جديداً ينطوي على تطور اجتماعي هام في جغرافية الشعوب ، فان العناية بدراسة هذا الموضوع قد اصبحت من اختصاص المنظمات الدولية الاجتماعية ، بعد ان اصبحت مشكلة التناسل في اعقاب الحرب العالمية الثانية ازمة اجتماعية شديدة لدى اكثر بلدان العالم . والهدف الأول لتحديد النسل ، هو توزيع التناسل في اقطار الأرض بما يتناسب مع الوقت والسعة والحاجة . وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية في مقدمة الدول التي اعارت هذا الموضوع اهتماماً خاصاً غير مباشر ، حينما زاد عدد سكانها في عام واحد (٢،٣٥٠،٠٠٠) نسمة ، وادرك الكثيرون من علماء الاجتماع أهمية هذا التطور والنمو ، خاصة وان نفوس الولايات المتحدة ستبلغ في نهاية القرن الحالي (٣٠٠) مليون نسمة ، بينما يرتفع عدد سكان الأرض من مليارين الى (٣ ، ٣) مليارات .

وانعكاس هذا الازدياد المطرد في عدد سكان العالم يبدو في ازدياد الحاجة الملحة للمواد الغذائية التي لا يمكن ان تزيد بنسبة زيادة عدد سكان الأرض ؛ فاذا كان بعض سكان الكرة الأرضية يتحملون قسوة الجوع ولا سيما في البلدان الأسيوية الوسطى والشرقية واهمها الهند والصين ، فان هذا الواقع الاجتماعي الصعب لا يمكن ان يدوم . ولهذا شرعت مؤسسات التغذية العالمية من جهة ، ومؤسسات الصحة الدولية من جهة ثانية بدراسة هذا الموضوع الخطير دراسة دقيقة وافية.

وقد لاحظت هذه الأوساط الاجتماعية ان الفقراء من السكان الذين لا يملكون ما يسمح لهم باطعام اطفالهم ، يحتضنون عشرات الاطفال ؛ في حين ان الأغنياء ، وهم اقدر الناس على العناية باطفالهم ، يعمدون الى تحديد نسلهم باللجوء الى طرق شتى ليست في متناول الفقراء . وهذا التناقض الاجتماعي في تكوين العائلة لدى دول العالم يشكل الاتجاه الأساسي الذي تعمل على دراسته وتهذيبه المؤسسات الاجتماعية الصحية الدولية .

وقد لوحظ اثر الحرب الاخيرة ازدياد مريع في حالات الإجهاض الارادي ، واثارت الاختلاطات الخطرة الناشئة عن محاولات الإجهاض اهتمام الأوساط الطبية . وتعزى حركة مراقبة التناسل Birth Control الى تنبه عدد من الإجتماعيين والأطباء الى إستفحال خطر اختلاطات الإجهاض المميتة ، مما دعاهم الى العمل دون الاجهاض الذي يحمل لأكثر النساء نتائج سيئة ومؤلمة .

وكان اول من اطلق حركة (مراقبة التناسل) في الولايات المتحدة ممرضة تدعى (مارغاريت سوجر) كانت تعمل مع طبيب مولد... اذ دعيت الى مساعدته في العناية بامرأة حاولت الاجهاض فسرت بها حالة انتانية شديدة . . . وانقذ الطبيب المريضة بعد عناية كبيرة . .الا ان المريضة لجأت الى الاجهاض ثانية بعد عدة اشهر ، وقضت نحبها نتيجة اختلاط مميت .

وعزمت الممرضة (سوجر) بعد ان رأت ضحية الاجهاض هذه ان تلقن النساء الطريقة الصحية الوقائية من الإلقاح والحمل... بغية تلافي مثيل هذه الكارثة ثانية ، وقد اثارت دعوتها ضجة كبيرة في الأوساط الإجتماعية والدينية باعتبار أن تنظيم مراقبة التناسل يخالف القوانين

بحث الشهر العلمي

المدنية والشرائع السماوية . الا ان السيدة سوجر اوضحت انها لا تبغي تشجيع الاجهاض ، بل (مراقبة التناسل) لأن هذه المراقبة تساعد على الحؤول دون حمل المرأة التي لا تساعدها اوضاعها الاجتماعية على الحمل ، على ان تتم هذه المراقبة بعد دراسة محيط المرأة العائلي .

وقد سرت حركة الممرضة (سوجر) لدى الكثيرين في الولايات المتحدة ، وخاصة بعد أن أصدرت مجلة (المرأة الثائرة) ثم مجلة (حدود العائلة) وجاهدت فيها مدة ٢٥ عاماً بالدفاع عن فكرتها الى ان تم لها الغاء الكثير من القوانين التي وضعت في السابق لمناوأة حركتها الشاذة .

وفي الولايات المتحدة الآن ما ينوف على (٢٠٠) عيادة خاصة بمراقبة التناسل والحؤول دون الحمل او تشجيعه وفقاً للضرورات الاجتماعية والطبية . وهذه العيادات تعمل تحت اشراف مؤسسة اتحادية واسعة النفوذ في ارجاء الولايات المتحدة . وتنحصر مهمة هذه العيادات في تأمين ايقاف التناسل او تسهيله ، وبكلمة اصرح ، فان هذه العيادات تحارب العقم وتسهل انجاب الأطفال لمن يرغبون في ذلك .

ولتأمين التناسل او الحيلولة دونه تلجأ هذه العيادة الى طرق عديدة اهمها (الطريقة الطبيعية) التي تقول ان مدّة التناسل والالقاح لدى المرأة تتراوح بين (٢٤ — ٣٦) ساعة وتقع في منتصف المدة التي تفصل بين نهاية الطمث وعودته ثانية ، فاذا ما تم تحديد هذه المدة امكن للزوجين الاستفادة منها حسب رغبتهما في انجاب الاطفال او عدمه . ويصعب على النساء اللاتي يضطرب موعد الطمث عندهن الاستفادة من هذه الفترة لصعوبة تحديدها عندهن .

ومدة التناسل والالقاح ، هي المدة التي تتحرر خلالها البويضة من المبيض لتندفع نحو البوق والرحم وتلتقي بنطفة الرجل حيث يتم الالقاح . وفي هذه الملاءمة للتناسل تنخفض حرارة المرأة قليلاً ، ثم تعود الى الارتفاع نسبياً عند انتهاء فترة الالقاح .

ويعمل الاطباء في هذه العيادات على تحديد مخطط حرارة المرأة خلال عدة اشهر — وتراقب المرأة حرارتها بنفسها ، لاكتشاف الفترة الدقيقة الملائمة للالقاح وتوضيحها بحيث تمتنع خلالها المرأة عن اية علاقة جنسية او تستفيد منها بغية الالقاح والتناسل . ومخطط المرأة هذا يضطرب بعد الولادة او الاجهاض ثم ينتظم ثانية بعد انقضاء حوالي شهرين على الولادة او الاجهاض .

ومن الضروري توضيح ان هذه الطريقة الطبيعية التي تنجح لدى الكثيرين وتفشل لدى الآخرين ، لا تتميز بالدقة المطلقة ، مما دعا عيادات مراقبة التناسل الى استعمال دواء خاص يعطى عن طريق الفم وجد أنه اضمن نجاحاً وأبعد فعالية .

وقد شرع باستعمال هـذا الدواء واسمه (الهسبريدين الفسفوري) في السنوات الخمس الأخيرة بعد اجراء تجارب واسعة على الحيوان للتأكد من ايقاف خاصة الالقاح بصورة موقتة . وهذا الدواء ينشر في الدم مادة تحول دون التجاذب الذي يجمع النطفة لدى الرجل بالبويضة لدى المرأة .. ومثل هذا الجمع يؤدي الى الالقاح والتناسل .

والدكتور (ستيف) في بوسطن هو اكثر الاطباء اختباراً لهذا الدواء . وهو الذي اوضح طريقة استعماله على (٣٠٠) امرأة و (٣٠٠) رجل ودرس نتائجه خلال عامين ونصف العام . ويعطى الدواء على أساس اربع حبات للمرأة وثلاث للرجل خلال يوم واحد ، ويجب استعمال الدواء عشرة ايام لايقاف خاصة الالقاح ، وأهم ما في خواصه ان ايقاف استعماله ينبه خاصة الالقاح من جديد لدى الرجل والمرأة بعد ازالتها موقتاً . وهذا الدواء غير متداول بشكل تجاري ، بل ان استعماله حتى الآن وقف على عيادات (مراقبة التناسل) الموزعة في انحاء الولايات المتحدة — وهذه العيادات لا تسمح باستعماله الا بعد دراسة اجتماعية للرجل والمرأة فيمنح للفقير الذي بهظته كثرة الأولاد او المريضة التي يشكل الحمل خطراً على حياتها ويمنع — في حدود الامكان — عن الغني الذي يخشى عدداً زائداً من الأولاد .

ولم تعد حركة (مراقبة التناسل) حركة اميركية فقط ، بل امتدت الى ارجاء بعض البلدان التي ترزح تحت عبء تناسل زائد دون ان تعطي ارضها خيرات كافية تكفي الملايين الجائعة . والهند هي خير مثال لهذه المأساة الاجتماعية ، وهذا ما جعلها ترحب باقامة مؤتمر دولي يبحث مراقبة التناسل على ارضها ، ومنظمة الصحة العالمية بالإضافه الى مؤسسات الطفولة

الدولية التابعة لهيئة الأمم تخصص الكثير من نشاطها لتوسيع نطاق تطبيق مراقبة التناسل في الهند على النمط الاميركي الضيق. وتطبق الطريقة الطبيعية للحد من التناسل المتكاثر في هذه العيادات التي يهتم بها الدكتور (ستون) من الولايات المتحدة، ولما كان من الصعب على الأميين استيعاب ترتيبات الطريقة الطبيعية واستعمالها للحد من التناسل او استعمال دواء قد يؤدي الى محاذير اذا ما اسيء تطبيقه، فلقد عمد الدكتور ستون الى توزيع الواح ذات اقسام متحركة ملونة على الامهات لتحديد مدة ميعادها المشار اليه بلون احمر. وهكذا تستخلص بسهولة الوقت الملائم للالقاح الذي يظهر بلون اخضر.

واذا كانت حركة (مراقبة التناسل) تلاقي ترحيباً في كثير من الأوساط، فانها في الوقت نفسه تلاقي خصوماً اقوياء يعارضونها على اعتبار انها تدبير غير طبيعي يتعارض مع طبيعة اخلاق المجتمع. وابعد هؤلاء الخصوم اثراً هم رجال الدين، وقد اوضح البابا في روما شديد استنكاره لمثل هذا الاتجاه؛ وفي نيويورك اخرج احد المستشفيات، وتديره راهبات، اربعة اطباء لإنضمامهم الى اتحاد عيادات مراقبة التناسل.

هذا وتبدو قضية مراقبة التناسل كمشكلة اجتماعية عالمية تلقى البحث والاستقصاء الى جانب النقد والتقريظ. ومثل هذه القضية الاجتماعيه الكبرى تحتاج الى اهتمام عالمي منظم.

ومناقشة هذا الموضوع الخطير على نطاق اقليمي ذات اهمية بالغة؛ فاذا كان مجال العمل رحباً لمراقبة التناسل في الهند، فانه يبدو شاذاً مستنكراً في كثير من البلدان الاخرى التي تتطلب وتتحمل زيادة في النسل.

وفي سويسرا، يلاحظ ان هذا البلد الذي لم يعرف الحروب ولم يشاهد الكوارث طيلة اكثر من نصف قرن لم يتغير عدد سكانه منذ عام ١٩١٨ على الرغم من الشروط الصحية الوقائية التامة فيه ... وكأن السلطات المسؤولة في سويسرا ترى في الابقاء على عدد السكان ثابتاً مصدر سعادة الشعب السويسري المسالم الذي يختص بسوية عالية في الحياة الاجتماعية. ولذا رأينا انتشار الاجهاض في هذا البلد يشكل ظاهرة بارزة بعد ان سجل القانون اباحته باطناً، وبهذا كانت سويسرا اول دولة قد طبقت مبدأ مراقبة التناسل قبل ان تتحدث عنه.

منذر الدقاق

صدر عن دار الكتاب اللبناني

تاريخ العلامة ابن خلدون

وقد صدر اخيرا

الجزء التاسع (القسم الرابع من المجلد الثاني)

حقق وقوبل على نسخة باريس الخطية المكتوبة بخط ابن خلدون

ولا تنسوا انه صدر الجزء الخامس وهو نهاية المجلد الاول (المقدمة) وهذا الجزء مذيل بفهارس المقدمة

التي وضعها وقدم لها بكلمة عامة الاستاذ يوسف اسعد داغر امين دار الكتب اللبنانية سابقاً الاختصاصي بفن تنظيم المكاتب وعلم البيليوغرافيا

وتتضمن هذه الفهارس الى جانب المصادر والمراجع الاجنبية والعربية لدراسة ابن خلدون :

١ – فهرس الموضوعات ٢ – فهرس اعلام الرجال والنساء ٣ – فهرس الشعوب والقبائل والدول والاسر ٤ – فهرس البلدان والامكنة الجغرافية ٥ – فهرس الكواكب والنجوم والابراج الفلكية ٦ – فهرس الحيوان ٧ – فهرس النبات ٨ – فهرس المعادن والجواهر والحجارة الكريمة ٩ – فهرس اسماء الكتب الواردة في المقدمة ١٠ – فهرس آي القرآن الكريم والاحاديث النبوية ١١ – فهرس المواد.

منشورات دار الكتاب اللبناني

بيروت ص . ب ٣١٧٦ – هاتف ٢٧٩٨٣